الصحيح المعتبر

من تفسير

جـــزء (عـمّ)

إعداد :

لقمان أمين شاربا تزيزي

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النبأ

بين يدي السورة

سُورَةُ النّبأ مكية[١] عند الجميع[٢]، وآياتها أربعون.

مناسبتها لما قبلها: لَمَّا ذكر في المرسلات: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[٣]، أي: بعد الحديث الذي هو القرآنُ، وكانوا يَتَجادلون فيه ويُسائِلون عنه، قال: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾[٤].

سبب نزولها: لما بُعِث النبيّ ﷺ وأخبرَ المشركين بتوحيد الله، والبعثِ بعد الموت، وتلا عليهم القرآنَ، جعلوا يتساءَلون بينهم في الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإقرار بنبوّته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيـمان بالبعث، فأنزلَ اللهُ: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ﴾[٥].

---

(١) ابن كثير(ت ٧٧٤هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان(ت ٧٤٥هـ)، وغيرهم.

(٢) فتح القدير للشوكاني(ت ١٢٥٠هـ)، قال: « وأخرج ابنُ الضَّرِيس، والنحَّاسُ، وابنُ مَرْدَوَيْه، والبيهقيّ، عَنِ ابن عبّاسٍ قال: نزلتْ ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ بـمكّةَ ».

(٣) وهي الآية الأخيرة من سورة المرسلات.

(٤) البحر المحيط.

(٥) تفسير الطبري(ت٣١٠هـ)، وابن أبي حاتم(ت٣٢٧هـ)، والطبراني(ت٣٦٠هـ)، والبغوي(ت٥١٠هـ)، والسمعاني(ت٤٨٩هـ)، والبحر المحيط، والدر المنثور، وغيرها.

الدرس الأول

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾

قوله تعالى : ﴿بِسۡمِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف يقدَّر بما يلي[1]:

- **فعل**: لأن الأصل في العمل الأفعال، فإذا قلت: « باسم الله » وأنت تريد أن تأكل ؛ تقدر الفعل : « باسم الله آكل ».
- **متأخر**: وذلك لفائدتين:

الفائدة الأولى : التبرك بتقديم اسم الله عز وجل.

والفائدة الثانية : الحصر؛ لأن تأخير العامل يفيد الحصر، كأنك تقول: لا آكل باسم أحد متبركاً به، ومستعيناً به إلا باسم الله ﷻ .

- **مناسب**: أي مع ما يفعل؛ لأنه أدلّ على المقصود؛ ولهذا قال الرسول ﷺ : « **وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ** »[2]، فخص الفعل.

و﴿ الله ﴾: اسم علم لربنا ﷻ ؛ لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه (أي المعبود) حبّاً، وتعظيماً. وهو أصل الأسماء؛ لذا تأتي الأسماء تابعة له.

= قال السيوطي(ت٩١١هـ): « أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مرْدَوَيْه عن الحسن، قال: لما بُعِث النبيّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم ».

(١) تفسير جزء (عمّ) لابن العثيمين.

٢) البخاري(٦٦٧٤)، ومسلم(٥١٧٩).

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على وزن (فَعْلان) الدال على السعة؛ أي ذو الرحمة الواسعة.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ على وزن (فعيل) الدال على وقوع الفعل؛ أي الموصل رحمته من يشاء من عباده.

فهنا (رحمةٌ) هي صفته ـ ودلّ عليها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

و(رحمةٌ) هي فعله ـ أي إيصال الرحمة إلى المرحوم ـ دلّ عليها ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

* * *

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ .

﴿ عَمَّ ﴾ أي: (عن ما) فأدغمت النون في الميم، وأسقطت الألف. والمعنى: عن أي شيء.

﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾، أي: يسأل المشركون من أهل مكة[١] بعضهم بعضا ؟ لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه تفخيم القصة[٢]. بدليل الآية التالية.

ثم أخبر الله نبيه ﷺ بأنهم يتساءلون: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر، وهذا إنكار من الله تعالى على المشركين في تساؤلهم عن النبأ العظيم إنكارا لوقوعه[٣]. والمقصود بـ﴿ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾:

١ـ البعث بعد الموت، قاله قتادة، وأبو العالية، والربيع، وجماعة[٤].

٢ـ القرآن، قاله مجاهد[٥].

---

(١) الطبري، والسمعاني، وابن كثير وبحر المحيط، وغيرها.

(٢) السمعاني، والبغوي، وفتح القدير.

(٣) ابن كثير.

(٤) الطبري، والسمعاني، والبغوي، وابن كثير ورجحه بقوله: « والأظهر الأول لقوله: ﴿ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به، وكافر ».

(٥)الطبري عن مجاهد، البغوي: « قَالَ مُجَاهِدٌ وَالأَكْثَرُونَ: هُوَ الْقُرْآنُ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ: ﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴾. الدر المنثور: أخرج عبد الرَّزَّاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن الْمُنْذر عَن

﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ ﴾ .

ثمّ بين تعالى أن تساؤل الناس بينهم في النبأ العظيم هو التساؤل: ﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾ يعني: صاروا فيه فريقين: فريق به مصدّق، وفريق به مكذّب[1]، وصاروا فيه على قولين: مؤمن به، وكافر[2]، فذلك إختلافهم.

قال قتادة: عن النبإ ﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ﴾ البعث بعد الموت، فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت[3].

* * *

مُجَاهِد فِي قَوْله: ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ قَالَ: الْقُرْآن. الصحيح المسبور: أنه أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد: القرآن.

وهناك رأي ثالث يرى بأنه هو النّبُوّة؛ كما نقله السمعاني عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) الطبري، والسمعاني، والبغوي.

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبري بسند حسن.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾.

ثم قال تعالى ردعاً للمتسائلين، ونفياً لقول منكري القيامة[١]:

﴿كَلَّا﴾ يعني: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم على كفرهم به[٢]، وتوعدهم ﷻ على هذا القول منهم، فقال:

﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ يعني:

- سيعلم هؤلاء الكفار عاقبةَ تكذيبهم حين تنكشفُ الأمور[٣].
- سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيامة، وأن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله، وأفضوا إلى ما قدّموا من سيء أعمالهم[٤].

ثم أكد الوعيد بتكرير آخر، فقال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، فهو تهديد بعد تهديد[٥]. وحُذِف ما يتعلّقُ به العلمُ على سبيل التّهويل، أي: سيعلمون ما يَحِلُّ بهم[٦].

---

(١)البغوي.

(٢) الطبري.

(٣) البغوي.

(٤) الطبري.

(٥) السمعاني عن الحسن.

(٦) البحر المحيط.

الدرس الثاني

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ ﴾

لما أخبر الله تعالى باختلافهم: في البعث: بالتصديق، والتكذيب. وفي القرآن: أنه سحر، أو شعر، أو كهانة[1]؛ وتوعدهم ﷻ على هذا القول بأنهم سيعلمون عاقبة أمرهم، ذكر آياته الباهرة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، بمنزلة من يقول لهم: إنّ كنتم مختلفين في إثبات البعث ونفيه، فهذه هي آياته ودلائله فاعتبروا بها:

ــ فإن القادر على إيجاد تلك، قادر على إيجاد نظيرها[2].

ــ وإن ما أنزله حقّ وصدق.

وعدّد نعمه عليهم، ليعترفوا به ويشكروه[3]، قال قَتَادَة فِي قَوْله: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ إِلَى قَوْله: ﴿ مَعَاشاً ﴾: « نعم من الله يعددها عَلَيْك يَا ابْن آدم لتعمل لأَدَاء شكرها »[4]. فقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ ﴾ لكم ﴿ مِهَٰدًا ﴾ أي: بساطا، وفراشا:

---

(١) السمعاني.

(٢) تكملة أضواء البيان للشيخ عطية سالم.

(٣) السمعاني.

(٤) الدر المنثور عن عبد بن حميد وابن المنذر بإسنادهما.

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ٨ ﴾

- مُوطَّئاً[1] تَمتدونها وتفترشونها[2].
- ممهدةً، ساكنة، ثابتة[3]، والنعمة في تذليلها وتوطئتها للخلائق[4].

﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴾ للأرض أن تميد بكم[5]، أرساها بها، وثبتها كما تُثَبَّتُ الخيام بالأوتاد[6]، وقررها حتى سكنت، ولم تضطرب بـمن عليها[7].

﴿ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ ﴾ يعني: صيرناكم[8] ﴿ أَزۡوَٰجٗا ﴾ أي:

- أصنافاً[9]: ذكرانا وإناثاً، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾.

---

(١) الطبري، روى بسنده عن قتادة قوله: « أي: بساطا »، والسمعاني، والبغوي.

(٢) الطبري.

(٣) ابن كثير.

(٤) السمعاني.

(٥) الطبري، روى بسنده الحسن عن قتادة قوله: « والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم ».

(٦) البحر المحيط. قال الشاعر: **وَالْبَيْتُ لاَ يَنْبَنِي إِلاَّ لَهُ عُمُدٌ وَلاَ عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ**

(٧) ابن كثير.

(٨) الطبري.

(٩) الطبري والسمعاني، والبغوي، وابن كثير.

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ﴾

○ أنواعًا: من اللَّوْن، والصُّورَة، واللِّسَان[١]؛ طوالا وقصارا، أو ذوي دمامة وجمال، مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾[٢].

موضع النعمة هي: سكون بعضهم إلى بعض، وتآلفهم فيما بينهم[٣].

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾، أي:

○ راحة ودَعة، تهدءون به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون، وأنتم أحياء فيكم الأرواح[٤]. والسُّبَات: أنْ ينقطعَ عن الحركة والرُّوح فِيهِ[٥].

○ قطعا للحركة بالليل؛ لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعايش في النهار[٦]، فتسكنون وتستريحون[٧].

---

(١) البحر المحيط.

(٢) الطبري.

(٣) السمعاني. وقال: « وقيل: أزواجا، أي: متآلفين ».

(٤) الطبري. ثمّ قال: « ولذلك سمي السبت سبتا، لأنه يوم راحة ودعة ».

(٥) البغوي عن الزَّجَاج.

(٦) ابن كثير.

(٧) السمعاني.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾، أي:

- غِشاءً يغشاكم سواده، وغطاءً تُغطِّيكم ظلمُته، كما يُغطّي الثوب لابسه[١]. كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾(الليل: ١).
- سكنا؛ لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا[٢].
- سترا لكم[٣] يستترون به عن العيون فيما لا يُحِبّون أن يَظهر عليه[٤].

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾، أي: جعلناه:

- مشرقاً مضيئاً، ليتمكنّ الناس من التصرف فيه لمصالح الدنيا، والذهاب والـمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغيرها[٥].
- مبتغى معاش، والمعنى: أنه الزمان الذي يعيشون وينصرفون فيه[٦].
- سببًا للمَعاش والتّصرُّف فِي المصالح والحوائج[٧].

---

(١) الطبري، والبغوي، وقال: « غطاءً وغِشاءً يَسْتُر كلّ شيء بظُلْمَته ».

(٢) الطبري. وروى عن قتادة: « ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ قال: سكنا ».

(٣) السمعاني.

(٤) البحر المحيط.

(٥) الطبري عن مجاهد بسند صحيح قال: يبتغون فيه من فضل الله». وابن كثير.

(٦) السمعاني.

(٧) البغوي، والبحر المحيط.

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿وَبَنَيْنَا﴾ وسقفنا[١] ﴿فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾، أي: سبع سماوات[٢] ﴿ شِدَادًا﴾، أي:

- مُحْكَمَة الخَلْق، قويّةً، لا صدوع فيهنّ ولا فطور، ولا تتأثّر بمرور الأعصار إلاّ إذا أراد اللَّه ﷻ[٣].
- صلبة، وفي الآثار: أن غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام[٤].
- شداداً في اتساعها، وارتفاعها، وإحكامها، وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات[٥]؛ ولهذا قال:

﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ أي: جعلنا الشمس سراجاً ﴿ وَهَّاجًا ﴾ يعني:

- وقادا، مضيئا[٦]، يتلألأ ضوءه[٧].

---

(١) الطبري، وقال: « فجعل السقف بناء؛ إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت - وهي سماؤها - بناءً وكانت السماء للأرض سقفا، فخاطبهم بلسانهم ».

(٢) السمعاني، والبغوي، والبحر المحيط، وابن كثير.

(٣) الطبري، والبحر المحيط.

(٤) السمعاني.

(٥) ابن كثير.

(٦) الطبري، وابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن عباس (وهّاجاً) : مضيئاً، والسمعاني.

(٧) الطبري (عن مجاهد وسفيان الثوري)، والسمعاني.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ﴾

- منيراً[1] على جميع العالم، يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم[2].
- جعل فيه نورًا وحرارةً، والوَهَج يجمعُ النُّور والحرارة[3].

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ ﴾ أي:

- من الرياح التي تعصر في هبوبها[4]؛ أنها تستدر المطر من السحاب[5]، وتلقح السحاب ليكون فيه المطر، فكأن المطر كان من الرياح[6].
- من السحاب[7] التي تتحلب بالمطر ولَّما تَمطر[8].

---

(١) الدر المنثور عن عبد الرزّاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة: الوهاج: المنير.

(٢) ابن كثير.

(٣) البغوي عن مقاتل.

(٤) الطبري.

(٥) البغوي عن الأزهري أنه قال: « هي الرياح ذوات الأعاصير ... وذلك أنّ الرِّيح تستدرُّ المطر ».

(٦) قال ابن زيد: المعصرات: الرياح، وقرأ قول الله: ﴿ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ... الآية﴾. ينظر: الطبري، وابن كثير عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

(٧) الطبري، وابن كثير عن ابن عباس، وعكرمة، وأبو العالية، والضحاك، والحسن، والثوري.

(٨) الطبري بسنده الحسن عن ابن عباس (المعصرات): السحاب. (ثجاجا): منصبا.

رجح الإمام الطبري أنّ المقصود بـ(المعصرات) السحاب، ثمّ قال: « وإنّما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنّما ينزل بها ».

وكذلك الإمام ابن كثير، فقال: « والأظهر أن المراد بالمعصرات: السحاب، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ ﴾ أي: من بينه ».

﴿ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴾ أي:

- منصبا[1]، متتابعا[2] يتبع بعضه بعضا كثجّ دماء البدن، وذلك سفكها.
- كثيرا[3].

---

(١) الطبري عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والربيع.

(٢) المصدر نفسه عن سفيان.

(٣) المصدر نفسه عن ابن وهب. وقال: « ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة الثجّ، وإنما الثجّ: الصب المتتابع. ومنه قول النبيّ ﷺ : (أَفْضَلُ الحَجِّ الْعَجُّ، والثجّ) يعني بالثج: صبّ دماء الهدايا والبُدن بذبحها ». والعج: رفع الصوت بالتلبية ». وقال ابن كثير تعقيبا على كلام ابن جرير: « قلت: وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ: (أنعت لك الكرسف) -يعني: أن تحتشي بالقطن-: قالت: يا رسول الله، هو أكثر من ذلك، إنما أثجّ ثجاً. وهذا فيه دلالة على استعمال (الثج) في الصبّ المتتابع الكثير، والله أعلم ».

﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦ ﴾.

﴿ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ ﴾ أي: بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك[١] ﴿ حَبّٗا ﴾ وهو كل ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد[٢]، ويدخر للأناسي والأنعام[٣]، كالحِنْطَة والشّعِير. ﴿ وَنَبَاتٗا ﴾، والنبات: هو الخضرُ الذي يؤكل رطبا، والكلأ الذي يُرْعى من الحشيش والزروع[٤]. ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ أي: بساتين من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة[٥]. ﴿أَلۡفَافًا ﴾، أي:

- مجتمعة[٦].
- ملتفة[٧]، التفّ بعضها إلى بعض[٨]، أو ملتفة بالشجر[٩].

---

(١) ابن كثير.

(٢) الطبري.

(٣) ابن كثير.

(٤) الطبري.

(٥) ابن كثير.

(٦) الطبري بسنده الحسن عن ابن عباس. وابن كثير، وقال: « وهذه كقوله تعالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ... ﴾ الآية ».

(٧) الدر المنثور: أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، والطبري عن مجاهد.

(٨)الدر المنثور: أخرجه عبد الرّزّاق، وعبد بن حميد، والطبري عن قتادة.

(٩) البغوي.

الدرس الثالث

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ ﴾.

ثمّ شرع ﷻ في بيان ما يتساءلون عنه من البعث[١]، فقال: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ ﴾ أي: القضاء بين الخلق[٢]، وهو يوم القيامة، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم[٣]، وبين الحق والباطل[٤]. ﴿ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴾، أي:

- وقتا وميعادا للخلائق[٥] من الأولين والآخرين يصلون فيه إلى ما وُعِدوا به من الثواب والعقاب[٦]، لا سيما لهؤلاء المكذّبين بالبعث[٧].
- مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل، كما قال: ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾[٨].

---

(١) فتح القدير للشوكاني.

(٢) البغوي.

(٣) الصحيح المسبور: أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر والطبري بسنده الحسن عن قتادة الآية: « هو يوم عظمة الله، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم ».

(٤) البحر المحيط.

(٥) السمعاني.

(٦) فتح القدير.

(٧) الطبري.

(٨) ابن كثير، والآية من سورة هود (١٠٤).

﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ ﴾.

○ ميقاتا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حداً للخلائق ينتهون إليه[1].

ويوم الفصل هو ﴿ يَوۡمَ يُنفَخُ ﴾ النفخة الثانية التي تكون للبعث ﴿ فِي ٱلصُّورِ ﴾ وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل[2]. روى أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أن أعرابيا سأل النبي ﷺ: ما الصور؟ قال: « **قرن ينفخ فيه** ».

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون ». قال: أربعون يوما؟ قال: « أبيت ». قال: أربعون شهرا؟ قال: « أبيت ». قال: أربعون سنة؟ قال: « أبيت ». قال: « ثم ينزِّل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً ـ وهو عجب الذنب ـ ومنه يركب الخلق يوم القيامة ».

* * *

---

(١) البحر المحيط.

(٢) فتح القدير.

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ ﴾.

﴿ فَتَأۡتُونَ ﴾ من القبور إلى الموقف[١] وهو موضع العرض[٢] ﴿ أَفۡوَاجٗا ﴾، أي: زمرا زمرا[٣]، وجماعة جماعة؛ لأن كلّ أمة تأتي مع رسولها الذي أرسل إليها، كما قال: ﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ ﴾[٤].

﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي: وشققت، فصدّعت[٥] ﴿ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ أي:

- طرقاً، حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران[٦]، وكانت من قبل شداداً؛ لا فطور فيها ولا صدوع[٧].
- طرقا ومسالك لنزول الملائكة[٨]، كما في قوله: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[٩].

---

(١) البحر المحيط.

(٢) فتح القدير.

(٣) الطبري وآدم بن أبي إياس بسند صحيح عن مجاهد ﴿ أَفۡوَاجٗا ﴾: زُمَراً زُمَراً.

(٤) الطبري، والآية من الإسراء: ٧١.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) البحر المحيط.

(٧) الطبري.

(٨) ابن كثير.

(٩) الفرقان، من الآية: ٢٥.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾.

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ ﴾ أي: ونُسفت الجبال عن وجه الأرض، وسيرت عن أماكنها في الهواء[1]، فاجتثت من أصولِها[2]. ﴿ فَكَانَتۡ سَرَابًا ﴾ أي: فصيرت هباء منبثا لعين الناظر كالسراب الذي يظنّ من يراه من بُعد ماء[3].

* * *

---

(١) فتح القدير. ثمّ قال: « وقد ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة، ولكن الجمع بينها أن نقول: أول أحوالها: الاندكاك، وهو قوله: ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾. وثاني أحوالها: أن تصير كالعهن المنفوش، كما في قوله: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾. وثالث أحوالها: أن تصير كالهباء، وهو قوله: ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾. ورابع أحوالها: أن تنسف وتحملها الرياح كما في قوله: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾. وخامس أحوالها: أن تصير سرابا، أي: لا شيء كما في هذه الآية ».

(٢) الطبري، والبغوي.

(٣) الطبري. واستدل ابن كثير بقوله ﷻ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا ﴾(طه، ١٠٥ ـ ١٠٧).

الدرس الرابع

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ ﴾

ثم شرع ﷻ في تفصيل أحكام الفصل، فقال[١]:

﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾، أي:

- مرصدة[٢]، ومراقبة من يجتازها: ترصد أهلها الذين كانوا يكذّبون بها لنزول العذاب بهم، وتراقب غيرهم من المصدّقين بها[٣].
- طريقا وممرا، وعلى الباب الرّصَد، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[٤]، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز لم يجز[٥]. قال مقاتل: مجلسا للأعداء، وممرا للأولياء[٦].
- وعيداً أوعد الله به الكفار، فهي معدة لهم[٧].

---

(١) فتح القدير.

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبري، والسمعاني.

(٤) الطبري عن الحسن أنه قال: « ألا إنّ على الباب الرّصَد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجيء بجواز احتبس». وعن قتادة قوله: « يُعْلِمُنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يَقطَع النار ».

(٥) البغوي، والماوردي.

(٦) البحر المحيط.

(٧) السمعاني، وابن كثير.

﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ لِّلطَّٰغِينَ ﴾، أي: إنّ جهنّم للذين طَغَوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارا على ربهم[١]، وهم: المردة، العصاة، المخالفون للرسل[٢].

﴿ مَـَٔابًا ﴾، أي: مَرْجِعاً يرجعون إليه، ومُنْقَلَباً، ومَصِيراً يصيرون إليه، ومَنْزِلاً يسكنونه[٣].

﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ ﴾ أي: إن هؤلاء الطاغين في الدنيا ماكثون في جهنم

﴿ أَحۡقَابًا ﴾، ومعنى (أحقاب) فيه عدة أقوال، منها:

الأول: مدة محددة: فالأحقاب جمع (حُقْبٍ)، و(الحُقْبُ الواحد) فيه أقوال:

- ثلاث مئة سنة.
- ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة[٤]. روى الطبري بسنده عن سالم بن أبي الجعد قال:

---

(١) الطبري.

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبري، وأخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿ مَآباً ﴾: « مرجعا ومأوى »، وابن كثير.

(٤) الطبري، والبغوي، وابن كثير، وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الحسن عن أبي هريرة (أحقابا): « الحقب: ثمانون سنة ». وقال ابن كثير: « وهكذا روي عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وسعيد بن جبير، وعمرو بن ميمون، والحسن، وقتادة ... ».

قال علي بن أبي طالب﵁ لهلال الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة[١].

- سبعون خريفا، كل خريف سبعمائة سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة[٢].

الثاني: لم يحدد لأهل النار مدة محددة، بل كلما مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود[٣]. ولا يكاد يستعمل الحقب إلا حيث يراد تتابع الأزمنة[٤].

الثالث: المدة محددة، ولكنها نسخت: قال مقاتل بن حيان: الحقب الواحد سبع عشرة ألف سنة. قال: وهذه الآية منسوخة نسختها ﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ يعني أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل[٥].

---

(١) الطبري.

(٢) البغوي عن مجاهد: « الأحقاب: ثلاثة وأربعون حقبا، كل حقب سبعون خريفا ... ».

(٣) الطبري، أخرج بسنده الحسن عن قتادة (لابثين فيها أحقابا): « وهو ما لا انقطاع له كلما مضى حقب جاء حقب بعده ». والبغوي، عن الحسن.

(٤) البحر المحيط.

(٥) البغوي. وقال: « روى السُّدِّي عن مرة عن عبد الله قال: « لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا، ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا ».

الرابع: المدة محددة، ولكنها مختصة:

أ ـ في أهل التوحيد: قال خالد بن معدان: هذه الآية وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾[1] في أهل التوحيد.

ب ـ لشرب الحميم والغساق: فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب[2].

ج ـ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا.

* * *

(١) الآية من سورة هود، ١٠٧.

(٢) فتح القدير.

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا ﴾ ، أي:

- لا يطعمون فيها برداً يبرد حرّ السعير عنهم[١].
- لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم[٢].
- لا يجدون روحاً وراحة[٣].
- لا يجدون نوماً[٤].

﴿وَلَا شَرَابًا﴾، أي:

- ولا شراباً يرويهم من شدّة العطش الذي بهم[٥].
- ولا شراباً طيباً يتغذون به[٦].

---

(١) الطبري.

(٢) ابن كثير.

(٣) البغوي عن الحسن والعطاء. وروى عن مقاتل قوله: « لا يذوقون فيها برداً » ينفعهم من حر، « ولا شراباً » ينفعهم من عطش.

(٤) الطبري عن بعض أهل العلم، وضعفه، قائلاً: « فليس هو باسمه المعروف، وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب، دون غيره ». والسمعاني عن ثعلب، والبغوي عن الكسائي وأبي عبيدة. والشوكاني عن مجاهد، والسدي، وأبو عبيدة، والكسائي، والفضل بن خالد، وأبو معاذ النحوي.

(٥) الطبري.

(٦) ابن كثير.

﴿ إِلَّا حَمِيمًا ﴾ أي:

حارا قد أغلي حتى انتهى حرّه، فهو كالمُهْل يَشْوِي الوجوه[١].

﴿ وَغَسَّاقًا ﴾ :

- زمهريرا[٢]، وما لا يستطيعون أن يذوقوه من برده.
- ما يسيل من بين جلده ولحمه[٣].

جمع الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بين القولين، فقال: « هو ما اجتمع من صديد أهل النار، وعرقهم، ودموعهم، وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه »[٤].

قال الربيع بن أنس: « فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البَرْد الغَسَّاق». والمعنى: لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السعير عنهم، إلا الغساق، ولا شرابا يرويهم من شدّة العطش الذي بهم إلا الحميم[٥].

وقال السمعاني: « وقيل: الحميم ما هو في نهاية الحر، والغساق ما هو في نهاية البرد وهو الزمهرير، فيعذبون بكل واحد من العذابين ».

---

(١) الطبري وابن كثير.

(٢) الطبري بسنده الحسن عن ابن عباس، وما بعده عن مجاهد.

(٣) المصدر نفسه بسنده الحسن عن قتادة.

(٤) ابن كثير.

(٥) الطبري.

الدرس الخامس

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ﴾

هذا العقاب الذي عُوقِب به هؤلاء الكفار في الآخرة فَعَلَه بهم ربهم على أعمالهم الرديئة التي كانوا يعملونها في الدنيا ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ يعني: ــ جزيناهم جزاءً وافق أعمالهم[1]، لأن الجزاء من جنس العمل.

قال ابن زيد: « عملوا شرّاً فجُزُوا شرّاً، وعملوا حسناً فجزوا حسناً، ثم قرأ قول الله: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ ».

وقال مقاتل: « وافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار »[2].

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾، يحتمل معنيين:

أ. لا يخافون حسابا؛ أي: إن هؤلاء الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، وسوء شكرهم له على ذلك[3].

---

(١) الطبري عن ابن عباس: جزاءً وافق أعمالهم. وعن مجاهد: « وافق الجزاء العمل ».

(٢) البغوي.

(٣) الطبري، والسمعاني، وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد قوله: « لا يبالون الحساب ولا يخافونه ».

ب. لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب[1]: فلم يكونوا يعتقدون أنْ ثّمَّ دارا يجازون فيها ويحاسبون[2]؛ قال ﷻ فيهم: ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[3].

* * *

(١) الطبري.

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبري. والآيات من سورة (المؤمنون، ٨١ –٨٣).

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴾ ، أي:

وكذّب هؤلاء الكفار بحُججِنا وأدلتنا ﴿ كِذَّابًا ﴾ لغة يمانية[1]، أي: تكذيبا.

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ ﴾ من الأعمال، وغيرها ﴿ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴾ :

- أثبتناه وكتبناه عددا ومبلغا وقدرا، فلا يعزُب عنا علم شيء منه[2].

قال ﷻ : ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾(الجنّ: ٢٨).

- بيَّناه في اللوح المحفوظ[3]. ويشهد له قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾(يس: ١٢).

والمعنى: قد علمنا أعمال العباد كلهم، وكتبناهم عليهم، وسنجزيهم على ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[4].

* * *

---

(١) الطبري، والسمعاني عن الفراء.

(٢) الطبري.

(٣) السمعاني والبغوي وعطية بن سالم في تكملته على أضواء البيان.

(٤) ابن كثير.

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ٣٠ ﴾

بين ﷻ أنه يقال لهؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغَسَّاق:

﴿ فَذُوقُواْ﴾ أيها القوم من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذّبون ﴿ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾ على العذاب الذي أنتم فيه[1]، إلا عذابا من جنسه[2]، كقوله ﷻ : ﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴾، فهو غير منقطع عنكم[3]، لا تخفيفا منه، ولا ترفُّها.

روى الطبري بسنده عن قتادة، عن أبي أيوب الأزدي، عن عبد الله بن عمرو، قال: « لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا »[4].

* * *

---

(١) الطبري.

(٢) ابن كثير. واستشهد بقوله ﷻ : ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾(ص: ٥٥-٥٨).

(٣) السمعاني.

(٤) الطبري.

الدرس السادس

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ﴾

لما ذكر ﷻ شيئا من حال أهل النار، ذكر ما لأهل الجنة[١] السعداء من الكرامة والنعيم المقيم[٢]، فقال: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾، أي:

- مُنْتَزَهًا[٣]، قاله ابن عباس والضحاك.
- فوزا[٤]، ومَنجَى ومخلصا من النار إلى الجنة، وظفرا بما طلبوا. قاله مجاهد وقتادة[٥].

قال ابن كثير: « الأظهر هاهنا قول بن عباس؛ لأنه قال بعده: ﴿ حدائق ﴾»[٦]. أي: فسر ﷻ هذا المفاز[٧] بقوله:

---

(١) البحر المحيط. وقال: « أي موضع فوز وظفر، حيث زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة ».

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبرى وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ ، البغوي عن الضحاك.

(٤) السمعاني، وقال: « والمفاز: موضع الفوز ».

(٥) الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ قال: « فازوا بأن نجوا من النار». وعبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة: « مفازا من النار إلى الجنة ». ينظر: الصحيح المسبور.

(٦) ابن كثير.

(٧) الطبري، فقال: « والحدائق: ترجمة وبيان عن المفاز ». وفتح القدير.

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ ﴾

﴿ حَدَآئِقَ ﴾ جمع حديقة، وهي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المُحَوَّط عليها الحيطان المحدقة بها. ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ يعني: وكرومَ أعناب[١]، يريد أشجار الجنة وثمارها[٢]. فكأنه قيل: إن للمتقين ظفرا بـما طلبوا من حدائق وأعناب[٣]. ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ أي: حور عذارى نواهد[٤]، والناهد: جارية خرج ثديها مثل الكعب[٥]، لم يتدلين لأنهن أبكار عرب[٦]. ﴿ أَتۡرَابٗا ﴾ أي: مُسْتَوِياتٍ[٧]، أقران في سنّ واحدة[٨]. وقيل: بنات ثلاث وثلاثين سنة[٩].

---

(١) الطبري.

(٢) البغوي.

(٣) الطبري.

(٤) الطبري بسنده الحسن عن ابن عباس ﷺ قوله: « (وكواعب): ونواهد، وقوله (أترابا) : مستويات ». والصحيح المسبور.

(٥) السمعاني.

(٦) ابن كثير.

(٧) الطبري.

(٨) الطبري بسنده عن ابن عباس ﷺ وقتادة وابن جريج. وأخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة (أترابا) : « سنا واحدا ». والبغوي، والصحيح المسبور.

(٩) السمعاني.

﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ وَكَأْسًا ﴾ إناءاً، ولا يقال له الكأس إلا إذا كان فيه الشراب. ﴿ دِهَاقًا ﴾ أي:

- ملآى مترعة[١]. متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء[٢].
- صافية[٣].

﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴾، أي: في الجنة ﴿ لَغْوًا ﴾، أي: باطلا من القول[٤].

﴿ وَلَا كِذَّابًا ﴾، أي:

- ولا مكاذبة، أي لا يُكَذِّب بعضهم بعضا[٥].
- ولا مأثماً[٦]، أي: ليس فيها كلام لاغٍ عارٍ عن الفائدة، ولا إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص[٧].

---

(١) الطبري، والبغوي وابن كثير عن ابن عباس، وقتادة، والحسن، وابن زيد.

(٢) الطبري. وقال: « وأصله من الدَّهْق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف». وأخرج بسنده الحسن عن ابن عباس (دهاقا): ممتلئا. وأخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد: الملأى المتتابعة. والبغوي وابن كثير عن ابن جبير ومجاهد: متتابعة.

(٣) نقله الطبري بسنده عن عكرمة، والسمعاني، وابن كثير، والبغوي.

(٤) الطبري عن قتادة، والبغوي.

(٥) الطبري، والسمعاني، والبغوي. وقرأ الكسائي بالتخفيف(كِذَاباً)، أي: كِذْبا.

(٦) الصحيح المسبور، عن عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة: « لا باطلا ولا مأثما ».

(٧) ابن كثير. والآية من سورة الطور(٢٣).

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: هذا الذي ذكر جازى به ربك هؤلاء المتقين جزاءً وثوابًا بأعمالهم على طاعتهم إياه في الدنيا. ﴿ عَطَآءً ﴾، أي: تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء؛ وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا في بعض، وبالواحد سبع مِئَةٍ في بعض، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء، فعطاء من الله[1] بفضله ومَنّه وإحسانه ورحمته عطاءً[2]، ﴿ حِسَابًا ﴾،أي:

- محاسبة لهم بأعمالهم لله في الدنيا[3].
- كثيراً[4].
- كافياً وافيا[5].
- بقدر أعمالهم[6].

---

(١) الطبري.

(٢)البغوي، والسمعاني نحوه.

(٣) الطبري.

(٤) الطبري عن قتادة: « أي: عطاء كثيرا، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم الذي لا انقطاع له ». الصحيح المسبور: عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة: « عطاء كثيرا ».

(٥) السمعاني: يقال: أعطاني فلان حتى أحسبني، يعني: حتى قلت حسبي. والبغوي نحوه.

(٦) البغوي.

﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله، وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء[1]. فقال: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴾، أي:

- لا يقدر أحد من خلقه على ابتداء مخاطبته يوم القيامة، إلا من أذن له منهم وقال صوابًا[2]، وكقوله: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[3].
- لا يشفعون لأحد إلا بإذنه[4]، كقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾.

* * *

---

(١) ابن كثير.

(٢) الطبري عن مجاهد وقتادة (خِطَاباً): كلاما.

(٣) ابن كثير. الآية الأولى من البقرة (٢٥٥). والثانية من هود(١٠٥). والصحيح المسبور: آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد (خطابا) : « كلاماً إلا من أذن له ».

(٤) السمعاني والبغوي.

الدرس السابع

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾، وقوله (الروح) فيه أقوال:

أحدها: أنهم أرواح بني آدم. قاله ابن عباس.

الثاني: هم بنو آدم. قاله الحسن، وقتادة[1].

الثالث: أنهم خلق من خلق الله، على صور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا ببشر، وهم يأكلون ويشربون. قاله ابن عباس، ومجاهد، والأعمش.

الرابع: هو جبريل. قاله الشعبي، وابن جبير، والضحاك. ويستشهد له بقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[2].

والخامس: أنه ملك من أعظم الملائكة خلقا، بقدر جميع المخلوقات[3].

قال الإمام ابن جرير بعدما نقل هذه الأقوال: « والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقَه لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم

---

(١) الصحيح المسبور: أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة (الروح) : هم بنو آدم.

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ و١٩٤.

(٣) الطبري، والسمعاني، والبغوي، وابن كثير، والسياق له. والصحيح المسبور، وقال: « أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم يقوم الروح): هو ملك أعظم الملائكة خلقا ».

الرُّوح، والرُّوح خَلْق من خَلْقِه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أيّ ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره، يجب التسليم له، ولاحجة تدلّ عليه، وغير ضائر الجهل به »[1].

وقال ابن كثير: « وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها، والأشبه -والله أعلم- أنهم بنو آدم ».

﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾، أي:

- الملائكة لا يشفعون. وقيل: لا يتكلمون مطلقا، هيبة وإجلالا[2].
- الخلق كلهم، كقوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾؛ وكما ثبت في الصحيح: « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل »[3].

﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾، وهم المؤمنون، والملائكة، بالشفاعة والكلام.

﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فيه قولان:

---

(١) الطبري.

(٢) السمعاني، وفتح القدير.

(٣) ابن كثير. والآية من سورة هود، (١٠٥).

١) بالتوحيد في الدنيا[١].

٢) حقا في الدنيا، وعمل به[٢]، الصواب: السداد من القول والفعل[٣].

قال ابن جرير: « والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفا، إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صوابا، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله أنه عَنَى بذلك نوعا من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه ».

وقال ابن كثير: « أي: حقا، ومن الحق: لا إله إلا الله، كما قاله أبو صالح، وعكرمة»[٤].

* * *

(١) الطبري، روى بسنده الحسن عن ابن عباس، أنه قال: « إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلا الله، وهي منتهى الصواب »، والصحيح المسبور.

(٢) الصحيح المسبور: أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الصحيح عن مجاهد (صوابا) : حقا في الدنيا وعمل به.

(٣) فتح القدير.

(٤) ابن كثير.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ ﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ﴾ يعني: يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفا.

﴿ ٱلۡحَقُّ ﴾، أي: كائن لا شكّ فيه.

﴿ فَمَن شَآءَ﴾ من عباده ﴿ ٱتَّخَذَ﴾بالتصديق بهذا اليوم الحقّ، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله[1]، والطاعة والعبادة[2]، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾، أي:

- سبيلا[3].
- مرجعا، ومنقلبا حسنا، وطريقا يهتدي إليه ومنهجا يَمرّ به عليه[4].

* * *

---

(١) الطبري، أخرج بسنده الحسن عن قتادة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) قال: « اتخذوا إلى الله مآبا بطاعته، وما يقربهم إليه »، والسمعاني، والصحيح المسبور.

(٢) السمعاني.

(٣) الطبري، والصحيح المسبور: « أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة (مئابا): سبيلا».

(٤) الطبري والسمعاني، وابن كثير.

﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠ ﴾

ثم زاد سبحانه في تخويف الكفار[1] فقال: ﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ ﴾ أي: حذّرناكم أيها الناس ﴿ عَذَابٗا قَرِيبٗا ﴾ أي: عذاب الآخرة، قد دنا منكم وقرُب[2]؛ لتأكد وقوعه صار قريبا؛ لأن كل ما هو آت قريب[3]، ومثله قوله: ﴿ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ﴾. وذلك ﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ ﴾ أي: المؤمن؛ لأنه يجد لنفسه عملا[4]، فينظر: ﴿ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾ أي: يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها[5]. كقوله: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا ﴾[6]،

---

(١) فتح القدير.

(٢) الطبري.

(٣) السمعاني.

(٤) الطبري، والصحيح المسبور: أخرج آدم بن أبي إياس بسنده الحسن عن الحسن ﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾ قال: ذاك المؤمن الكيس الحذر ».

(٥) الطبري، أخرج بسند عن الحسن ﴿ يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ ﴾ قال: « المرء المؤمن يحذَر الصغيرة، ويخاف الكبيرة ».

(٦) الكهف، من الآية: ٤٩.

وكقوله: ﴿ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾[1].

﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ ﴾ يومئذ لما لا يجد لنفسه عملاً، ويلقى من عذاب الله؛ فيتمنى بقوله: ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾، أي:

- يود أنه كان في الدنيا ترابا، ولم يكن خلق، ولا خرج إلى الوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة[2].
- كالبهائم التي جُعِلت ترابًا[3].
- لم أبعث[4].

* * *

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٣.

(٢) ابن كثير.

(٣) الطبري أخرج بسنده الحسن عن قتادة ﴿ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾: « وهو الهالك المفرط العاجز، وما يمنعه أنه يقول ذلك وقد راج عليه عورات عمله، وقد استقبل الرحمن وهو عليه غضبان، فتمنى الموت يومئذ، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت ».
وأخرج بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « يَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ والبَهائم، وإنَّه لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمَّاءَ مِنَ القَرْناءِ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأخْرَى، قالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا »، صححه الألباني.

(٤) السمعاني.